

مقدمة

لا جدال في أن هناك خللاً ما في الفكر الديني المعاصر ، ولكن هذا الخلل ليس وليد اليوم ، فهو خلل يمتد لقرون عديدة سابقة شهدت تراجع الحضارة الإسلامية . وقد انعكس هذا التراجع على الفكر الديني إن لم نقل إن تخلف الفكر الديني كان أحد أهم أسباب هذا التراجع . ويدل على ذلك أن جهود العديد من المصلحين على مدى القرون الماضية قد انصبّت على إصلاح الفكر الديني اقتناعاً منهم بأن إصلاح الفكر الديني هو السبيل إلى إصلاح الفكر بصفة عامة ، الأمر الذي من شأنه أن ينعكس بدوره على أحوال الأمة في شتى أنحاء العالم الإسلامي .

وأبرز من تصدى لذلك في العصر الحديث كان الشيخ محمد عبده وتلاميذه من بعده . وعلى الرغم من الجهود الحثيثة والمحاولات المتواصلة على هذا الطريق فإن النتائج ظلت متواضعة إلى حد بعيد ، وذلك بالنظر إلى العقبات الكبيرة التي تراكمت على مر الأيام ، وتركت آثارها العميقة على عقول المشتغلين بالفكر الديني ، مما تسبب في كل مرة في عودة المياه الراكدة إلى سكونها المعتاد .

وعلى الرغم من كل ذلك فإننا لم نصل إلى حد اليأس ، ولا يجوز لنا أن نصاب بالإحباط ، فما دامت الحياة مستمرة في سيرها فالأمل سيظل قائماً في تغيير الفكر وتصحيح المسار .

ومن هنا كان هذا التنبيه النبوي الذي يقول : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »^(١) . وهذا الحديث ليس المقصود منه حرفية النص وانتظار تمام المائة سنة حتى يظهر مجدد يلقي بحجر في مياه الفكر الراكدة . فالمقصود هو حقيقة التجديد بصرف النظر عن بداية المائة سنة أو منتصفها أو ختامها .

(١) أخرجه أبو داود في سننه .

ولا يجوز أن تتوقف محاولات التجديد والإصلاح بالنظر إلى بطء الشمار ، فبعض الأفكار قد تأخذ وقتاً غير قصير إلى أن تثمر ثمرتها المرجوة . فحياة الفكر ونموه فى حاجة إلى الكثير من الوقت والصبر والعناية المتواصلة حتى تتحقق الآمال المعقودة عليه .

إن الأمة فى حاجة مستمرة إلى التذكير بما يحيط بها من مشكلات وما يواجهها من تحديات على مستوى الفكر بصفة عامة والفكر الدينى بصفة خاصة ، والكشف عن الكثير من الحقائق الغائبة التى توارت أمام ركام الغناء الذى ملأ الساحة الفكرية الدينية ، كما أن هناك ضرورة ملحة للتنوعية المتواصلة بقيمة الدين الدافعة إلى تقدم المجتمع وترقية الحياة .

والكتاب الذى يسرنا اليوم أن نقدمه إلى القارئ الكريم نحاول من خلاله - استكمالاً لما بدأناه فى مؤلفات أخرى - أن نلفت الأنظار وننبه الأذهان إلى ضرورة إعادة النظر فى الأوضاع التى آلت إليها أحوال أمتنا الإسلامية على مختلف المستويات بصفة عامة وعلى مستوى الفكر الدينى بصفة خاصة فى محاولة لإعادة الوعى بالمسئولية الحضارية من أجل إخراج هذه الأمة من أزمتها الحضارية الراهنة التى طالت أكثر مما ينبغى .

والموضوعات التى اشتمل عليها هذا الكتاب تمثل مجموعة مقالات ومحاضرات تم إعدادها فى السنتين الماضيتين ، نشرها هنا دون تغيير أو تعديل . وقد قسمناها إلى خمسة فصول يشتمل كل فصل منها على الموضوعات التى تتصل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالعنوان الذى وضعناه لكل فصل ، وذلك على النحو التالى :

لقد جاء الفصل الأول بعنوان : الفكر الدينى والحقائق الغائبة ، وجاء الفصل الثانى بعنوان : العقل الإنسانى ودوره فى التقدم الحضارى . أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان : قضايا معاصرة فى ضوء تعاليم الإسلام . وفى الفصل الرابع تناولنا موضوع الإسلام والغرب وقضايا الحوار . أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء بعنوان : حوار مع الماضى البعيد .

ونأمل أن يكون فى هذه الفصول فائدة لقارئ أو نفع لباحث أو تنبيه لغافل أو تذكير لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .